وشاية قلم

ديوان شعر بالفصحى

الطبعة الأولى
1441 هـ 2020 م

ملحوظـــــــــةٌ: حقوق الطبع جميعها محفوظة للمؤلف
عنـــوان الكتاب: وشاية قلم
التصنيف الأدبي: ديوان شعر بالفصحى
اســـم المؤلف: حسن إسماعيل قنطار
رقم الإيـــــداع: 8747 / 2020
الترقيـــم الدولي: 7 - 51 - 6792 - 977 - 978
تصميـــم الغلاف: محمد وجيه
التدقيـــق اللغوي: هبـــة ماردييـــن
التنسيق الداخلي: محمد وجيه

الطبعة الأولى
1441 هـ 2020 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر - بورسعيد
المديـــــر العام: فادية محمد هندومة
جوال: 00201211132879
E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.

وشاية قلم

ديوان شعر بالفصحى

حسن إسماعيل قنطار

دار ديوان العرب للنشر و التوزيع
ديوان العرب
حقق حلمك

الإهداءُ

إلى أمّي، ليس إلا

أنسج زخارف القول تحت قدميها

حسن قنطار

****

إطلالةٌ

في وشايةِ القلمِ:

ليس ثَمَّ ما يوصدُ الكلماتِ في أقبيةِ الذاكرةِ؛ فلا أجدُني تركتُ الوزنَ ينحتُ في قصائدي تماثيلَ بكماءَ، ولا جعلتُني أسيراً أتململُ بين أغلالِ القوافي.

مع هذا فإنكَ لن تراني أطلقُ الحبلَ على الغاربِ لنصوصٍ خرقاءَ تتسكّعُ في أزقةِ الكتابِ دونما غاية.

****

في وشايةِ القلمِ:

كلما أرادَ القلمُ أنْ يشيَ إلى عقلي قادني إلى الكتابةِ الرتيبةِ المحكمةِ، فأغالبُهُ بحكمةِ الأولين.

وإذا ما همسَ إلى القلبِ ساقني إلى حيث أرادَ دونما قيدٍ أو حدٍّ، فأصحو في آخر العتبة على جنةٍ وارفةٍ من الهذيان.

ولعلَّهُ يصرخُ في أذنيَّ فترتعدُ المخيلةُ حُبَّاً وتخرجُ النصوصُ المسجونةُ متراكضةً في ممراتٍ غير موجهةٍ تُلقي بها إلى ساحاتٍ تتنفسُ في النور.

****

في وشايةِ القلمِ:

لكَ أنْ تُقبّلَ الشمسَ برغباتكَ الجامحةِ، ولكَ أنْ تحبوَ على أطلالِ الآفلين، ولك أنْ تُنادمَ الأوزانَ وتُراقِصَ الحروفَ وتُعاقِرَ الكلماتِ وتُخامرَ الخواطرَ في حانةٍ مترعةٍ باللذةِ والموسيقا والأخيلةِ والحكمة.

****

في وشايةِ القلمِ:

لا تقلْ لوساوِسِ الخيالِ: أعوذُ باللهِ منكَ، ولا تحصِّنْ نفسكَ بتراتيلِ الخلاصِ؛ فإنكَ لن تنجو من مصارعها حتى تملأ الكتابَ دماءً أو دموعاً أو ابتسامات.

وهنا يحقُّ لكَ أنْ تقولَ:

ولستُ الآن أستجدي المعاني

ولا والله ما خانتْ حروفي

ولكنَّ اليراعَ لديَّ سيلٌ

ولا ألوي القوافيَ عن عزوفِ

****

وليس آخراً أقول:

قد لا أجيدُ الشِعرَ سجيةَ قارضٍ،

ولا أراقصُ الوزنَ صناعةَ ماهرٍ،

لكنّني علّقتُ ذاتَ صفنةٍ

قلائدَ من دمِ الشهيدِ،

ولآلئَ من ثغرِ الحبيبِ

على أعناقِ القوافي.

****

قد لا أجيدُ النثرَ أصورةً وارفة،

وأخيلةً طَلْقة،

ولم تُلقَ على كتفَيْ وقاري عباءةُ البيان،

لكنّني نسجتُ ذاتَ صفنةٍ

إزاراً من وطنٍ

حولَ خاصرةِ المعاني.

نرجسيةُ عاشقٍ

أنختُ بأرضِ مَنْ أهوى حروفي
وأجريتُ القوافيَ في السيوفِ

وأذكيتُ المعاركَ من قصيدٍ
وبعضُ القولِ أدعى للحتوفِ

أصولُ القولِ تُسقى مِنْ يراعي
وبحري لا يُعكَّرُ من جُروفِ

وأبقى البدرَ ما احتجبت سماءٌ
ولي وهَجٌ يُعتّقُ بالكسوفِ

فلا تُكثرْ عليَّ ولا تزدْني
ولا تقسمْ فما حَنِثَتْ ظروفي

وهذا الفخرُ توَّجَني لأنّي

أنختُ بأرضِ مَنْ أهوى حروفي

....

أتعجبُ إنْ أتاكَ اليومَ قولي

يَخيطُ الفخرَ بالغَزَلِ اللهوفِ

فما المنشودُ من نَظمٍ رتيبٍ؟

وما المأمولُ من هذرِ الخُلوفِ؟

وذا نظمي طويتُ الليلَ كيما

يُغازِلَ ظبيةً وسْطَ الحتوفِ

ولستُ الآن أستجدي المعاني

ولا واللهِ ما خانتْ حروفي

ولكنَّ اليراعَ لديَّ سيلٌ

ولا ألوي القوافيَ عن عزوفِ

أتسألُ كيف طاوعكَ البيانُ

وراقصتَ القلوبَ مع السيوفِ؟

أجابتكَ القصائدُ: ذا لأنّي

أنختُ بأرضِ مَنْ أهوى حروفي

....

ولي في أرضِ من أهوى حضورٌ

مقيمُ الوصلِ لو خانتْ ظروفي

لها واللهِ تعتمرُ المآقي

وتسعى الروحُ راجيةَ الوقوفِ

على أعتابِها سجدتْ فنوني

وفي محرابِها صلّتْ صنوفي

فما وفَّتْ ولن تفيَ المعالي

جوامعُ قولِ نابغةٍ وعوفِ

حجازُ الوحيِ زيّنها نبيٌّ

وفي اليمنِ السعيدِ أرحتُ خوفي

وقدسُ اللهِ معراجي وقصدي

وهذي الشامُ حاضرتي وسوفي

ويا بغدادُ كم آهاً أواري

عناقُ الرافدينِ يثيرُ جوفي

ومصرٌ غادةٌ أهفو إليها

يغارُ النيلُ من شعرٍ شفوفِ

أتاكَ الآن كم رقصتْ يراعي

على أطلالِ حاضرةٍ هنوفِ

وأبصرتَ القوافيَ حين تصحو

تبخترَ بدرُها بعد الخسوفِ

فما كلُّ القصائدِ قيلَ فيها:

أنختُ بأرضِ مَنْ أهوى حروفي

****

حدَّثوني

حدثوني... وَيْحَكُم!

كيف حالُ الأمكنة؟

كيف باتتْ قريةٌ

تحت عزفِ المطحنة؟

كيف غارتْ دمعةٌ

في بحار الشيطنة؟

....

حدثوني... وَيْلَكُم!

كيف نامتْ طفلةٌ

وسط أسراب الهزيزِ؟

قبّلتْها ليس إلا

مرةً

إحدى أجنادِ الأزيزِ

أبدعتْ في رسمِ وردةْ

فوقَ سفحِ الحاجبين

أسلمتْ رأساً صغيراً

بين أحضانِ الوسادة

ثُمَّ نامتْ

مُقلتاها

خصلتاها

حاجباها

ودّعتْ روحٌ صغيرةْ

تبكي إحدى الوردتين

....

خبّروني... ما لَكُم؟

هل تجهلون العنعنةْ؟

عن جداري

شُرفتي، عن غَرستي

عن ركايا جدتي

عن حكايا القريةِ

عن سقيفة بيتنا

لازلتُ أذكرُ أنّني

خبأتُ أولى رسائلي

في خصرها

كانت تلفُّ في أحضانها

شعراً يعانق زهرةً

مهزوزةً

لا ضيعتها الأزمنة.

****

أقيلوا

أقيلوا عثرةَ الأحلامِ عني

فما عدتُ المقامرَ بالتمني

وما ليلي بليلٍ أحتسيهِ

ولا صُبحي يقابَلُ بالتثنّي

وهذي الحالُ تركلني حثيثاً

لأيامٍ عوينَ فآلمنّي

وأُسقى الآهَ جمراً بعد جمرٍ

وفي الزمن المعربدِ ساءَ ظنّي

....

تسامرُني اليراعُ لذاتِ شدوٍ

ويسكرُ من لعابِ الحلمِ دَنّي

وتأسرُني القصائدُ عندَ صحوٍ

فأعتادُ التمرّدَ حيثُ إنّي

وإنّي لتاجُ طلّاعِ الثنايا

ويحسدُني الفرزدقُ وابنُ جنّي

....

ألا يكفيني عيشُ الذلِّ دهراً

وذي الأوداجُ من ألمٍ تُغني

ألم تُسبَ البناتُ الحالماتُ

وأقبيةُ الطغاةِ تلوكُ فنّي

مزنجرةُ الطباعِ تدوس حلماً

وضاريةٌ حكومةُ مَنْ أغني

أغني الشعرَ مَنْ نهبوا الدّيارا

ولو كلباً عويتُ له يثنّي

فلا عذراً أجاملكم لهذا

أقيلوا عثرةَ الأحلامِ عني

****

سكرةُ قلم

كلُّ القصائدِ أثوابٌ أفصّلُها

من سفحِ منكِبِها أستعذبُ الرُّكبا

والحرفُ يحزمها

جِيداً وخاصرةً

والجيبُ يهمسها

عطراً سرى هيَفاً

إذ داعب الكُثُبا

....

والكُمُّ عازفةٌ:

مستفعلن فاعلن

والزرُّ قافيةٌ

تستضحكُ الشّهُبا

من دنِّ فتنتِها

في حانِ مبسمِها

والعزفُ يحكي لنا

رَويَّ رقصتِها

إذ تُسكِرُ القُرَبا

والبحرُ مستعرٌ رِدفاً وأوديةً

مستفعلن فاعلن

قد مالَ واضطربا

****

كانَ الذي كانَ

جرحٌ في خاصرةِ القريةِ المكشوفةِ على أعينِ الزائرين

لا زال ينزفُ،

لا زالت القريةُ تقدمُ له عقاقيرَ الشهادةِ حتى يلتحم.

أثخنَتْهُ الحرابُ المسعورةُ

عندما وزعتْ ضرباتها،

وتفننَتْ في فعائلها.

....

آهٍ يا نائلة

أيتها الصخرةُ التي أقعدَها الفالجُ،

أراها الآن

تُسارعُ زحفها قليلاً على عزيفِ الموتِ القادمِ،

هي لا تعلمُ الآن، أو ربما تعلم،

أنَّ جسدها المهزوز

يعانقُ الإسفلتَ المعفّرَ،

وتصافح روحها كفَّ السماءْ.

كان عبوراً شرِهاً لتلك المزنجرةِ العاهرة

لازلتُ أذكرُ بحيرةً حمراءَ

تستلقي في منتصفِ الشارع

كان فزعٌ قبيحٌ أنساني كلّ شيء؛

نعم كلّ شيء

إلا وجهي المرسومَ فوق البحيرة.

هذا بالكادِ يُذكرُ في مقابلِ الهائلاتِ

ولا أعتقد أنَّ أحداً من أبناءِ القرية ينسى

أو يحاول للحظةٍ

أن يتناسى تفاصيل الذي تخضَّبَ

وكان.

تضرّعٌ

إلهي كم يلاعبني يقيني
وكم قطّعتُ بالنكرانِ ديني

ولا برهانَ يعصمُني اتزاناً
ولم أُقذفْ إلى يمٍّ أمينِ

فهَبْ لي من لدُنكَ اليومَ عقماً
فلا ألدَ المواجعَ بعد حيني

وأدركني إذا جفَّتْ دلائي
بطوفانٍ وجوديٍّ متينِ

لقد خفتُ الموالِيَ من ورائي

فلا يحي أُراهنُ أنْ يقيني

يقيني أنّني أدعوكَ طهراً

وهذا الوعدُ أحفظُهُ رهيني

فعجّلْ بالنوازلِ إنَّ قوماً

علَوا قسماً بزيتونٍ وتينِ

يغازلُ عُهرَهم محرابُ غدرٍ

وصومعةٌ تزغردُ فوق طيني

....

ألا عُذراً إلهَ الكونِ أنّي

أعاجلُكَ الشكايةَ بالونينِ

جليدُ الطفلِ أفقدني صوابي
ونَوحُ الأمِّ يأخذُ مِنْ وتيني

وعُهرُ الكونِ يرقصُ باصفرارٍ
وذئبُ الموتِ يأكلُ مِنْ يميني

وأثقلَ كاهلي حِملُ امتحاني
وتيهُ الذلِّ راغَ على جبيني

وهاروني يساومُ في غيابي
ونارُ الطودِ أخمدَها مُعيني

ألا تبتْ يدايَ وتبَّ قولي
إذا عُتباكَ لا تروي أنيني

لازلتُ هناكَ

أفكرُ في إنجابِ ذاكرةٍ جديدةٍ؛

فالسنواتُ الثَمان

التي تمارسُ

تمارينها التكوينية في رأسي

قتلتْ نصفَ ذاكرتي القديمة،

وأرهقتِ النصفَ الآخر حتى ترهَّلَ.

....

لم تعدْ أمّي تُفاجئ الشمسَ باكراً

لتسرقَ منها شعلةً

توقدُ تنورها العابق

بروائح الأرغفة والدخان

وهي تسبِّحُ تارةً

وتغني للصباح تارةً أُخرى.

الآن تستيقظُ أمّي باكراً كعادتها

ولكن برائحةٍ جديدةٍ

وصيحاتٍ جديدةٍ أيضاً.

....

لم أعد أستنفرُ الفراش صباحاً

لأجدني

رأساً مرميةً تحته، وقدمين فوق الوسادة.

الآن لازلتُ أستنفرُ رأسي

وأضبطُ قدميَّ

ولكن بنومٍ جديدٍ ويقظةٍ جديدة.

....

لم تعدْ كتاباتي وأشعاري وعبائري

حالمةً سعيدة.

كانت كلّ الحروف تعانق حركاتها

وكلّ القصائد تراقص أوزانها.

الآن لازلتُ أكتبُ

أنثرُ

أقرضُ

ولكن بلغةٍ جديدةٍ وشكلٍ جديدٍ؛

حروفٌ خاملةٌ

أشعارٌ ناعسةٌ

وعبائرُ ميتة!!

لذلك أفكرُ بإنجابِ ذاكرةٍ جديدة،

لولا أنّني

لا زلتُ هناك.

****

اللعنةُ

أحاولُ الآن

أنْ أخرجَ إلى بلاطِ النُقَّادِ بقصيدةٍ عاريةٍ.

من يدري؟

لعلَّ أحلامهم

تستيقظُ صحوتها،

وأقلامهم تنتصبُ صبوتها

إذا تراءَتْ لهم في البلاطِ.

....

ستكون قصيدةً

لا يكسوها من البيان والغاية

إلا جلدها المرصَّع بمسامِّها الحمراء.

ولا تجيد الريشة التي راقصتْها

إلا أن تداعبَ شيئاً من عناقيدها

الثابتة والمتحركة.

ولا يتقنُ الذي غناها

إلا أن تتلوى حَنجرتُه

مع هزة خاصرتها اليسرى،

ليركلَ لسانه

خاصرتها اليمنى.

عندها سوف تحظى قصيدتي الجديدة

بوارفِ ظلالهم،

وتنبسطُ بعمقِ عباراتهم،

وترقدُ بسلامٍ

تحت وثيرِ عباءاتهم.

****

تبَّ البيانُ

الآنَ أبكي؟

وقد عصيتُ مواجعي

مُذْ كنتُ قبلاً

فيمن أفسد الألما؟

....

كانت عيونٌ

فُجّرتْ من حولنا

وتقرّحتْ عينُ السماء لحالنا

أما التي في محجريَّ تجمّدتْ

وتدثّرتْ

وتأبطتْ صمتاً رتيباً مُبهما

....

تُرى هل أُلامُ؟

وقد خلعتُ عباءتي

وقذفتُ في صدرِ الزمانِ الأسهُما

أم هل أُلام الآن حيثُ مواقدي؟

تهتزُّ تحت أثافِها الأقدارُ

أما البلاغة في الأنين تعطلتْ

وتزلزت

وتكاثرت حقداً جموحاَ مفحما

....

تبَّ البيانُ

وتبتْ كلُّ بارقةٍ

لم أُجزَ في إشراقها

عن كلِّ حرفٍ مأتما

****

ما سرُّ التجافي؟

يناصرُني الوشاةُ على اكتفافي

فقل بالله ما سرُّ التجافي؟

وكيف تُؤوّلُ الإعراضَ عني

ويفضحُ مقلتيك ندى اعترافِ

أزيدُ تمسكاً وتزيدُ صدّي

فهل في ذلك الصدِّ اقتيافي

أبصّر في فناجين التمني

وأقرأُ في لماكَ ظما التهافِ

كأنكَ مذ نأيتَ على اعتجالٍ

تُبلّغُ خافقي رُسلَ ائتلافي

فأغلبُ عاذلي وأشدُّ رحلي

وتُحرم رغبتي نحو الطوافِ

أعاودُ فيك كلَّ الشعر شوقاً

وتنصرني على شوقي القوافي

فلي في كلّ جزءٍ منك قولٌ

وفلسفةٌ تحدُّ من ارتجافي

وأعلم أنّك المقتولُ دوني

فقل بالله ما سرُّ التجافي؟

مَنْ قال؟

مَنْ قالَ وردُها لا

تُسقى حدائقُهُ

مِن عينِ سائحةٍ

في ليلِ نائحةٍ

والكلُّ منتكسٌ تنأى طوارقُهُ

....

إنّي رأيتُ الذي

يغتالُ قافيتي

دمعٌ وينهملُ

شالٌ وينسدلُ

أمٌّ يغالبها طفلٌ تعانقُهُ

....

والخدُّ مكتحلٌ

من نهرِ مدمعِها

كَفٌّ تغازلهُ

هَمٌّ ينازلهُ

رَوضٌ يموتُ وما

ماتتْ بيارقُهُ

مَن قالَ روحُها لا

تنسى معارجَها

في بئرِ يوسفِها

في حبِّ مُتلفِها

زوجُ العزيزِ هنا تسلو دواعجَها

....

يعقوبُ موئلِها يروي ظوامئَهُ

من طيب منسمِها

مِن رِيِّ مبسمِها

رُدّتْ إليهِ فما رَدّتْ نفائجَها

....

يا أمّي مالي وما

كونٌ ينازعُني

يكفيني ملتجأٌ

منكِ ومتّكَأٌ

يا روحُ جُدّي فما أرجو مباهجَها

مَن قالَ مَن؟

****

جموحٌ

مذ قيلَ للعذراء هُزّي عفةً

هزتْ شؤونُ الكونِ

كلَّ تكلّفي

....

هي أنبتتْ في الخلقِ غرسَ تعفّفٍ

وتحصّنٍ

وتورّعٍ

وتخوّفِ

لكنّني بطَراً أضعتُ تخلّقي

وسقى حِمامُ الحقد كلَّ تعفّفي

....

لا تعجبوا

بل فاعجبوا

إني نذرتُ اليومَ كلَّ محابري

لأسطّرَ الآهَ المعفّرَ بالجوى

لأحبّرَ الألمَ المصفّرَ إذ عوى

لأحمّرَ التاريخَ من حبري الذي

غرقتْ بهِ روحي وماتَ تكلّفي.

****

نجوى

أمدُّ الرّاحَ أُتلفُها

عسى مولايَ يسعفُها

وأغدو في رحائبِهِ

وأشكو الآهَ والولهَا

....

أنا المأكولُ قافيةً

أنا المنسيُّ أعرفها

ألوكُ الحرفَ نافلةً

وبيتُ الشِعر أسرفها

....

وهذي الرُّوحُ تائقةٌ

لبابِ اللهِ مُكرِمِها

وجارُ اللهِ في سَعةٍ

أجرْ مولايَ لهفتَها

****

قل لي إذنْ

ماذا أسمّي الشيءَ يركلُ جامحي
وتقيمُ عرسَ الصاهباتِ جوارحي

وتدندنُ الأعضاءُ ما مالتْ لهُ
ساقٌ لها ترجو عناقَ مطارحي؟

لا تتهمْ بوحي فلستُ بماجنٍ
لا تشتهي الغزلانَ كلُّ مكابحي

أنا لا أعري القولَ نزوةَ شاعرٍ
إني فقط عريتُ كلَّ مسارحي

قلْ لي إذن:

ماذا أُسمي الشيءَ يركلُ جامحي؟

****

تغارُ من قلمي

ويُصارُ أنْ

تغتالَكَ الأقلامُ...

تتسوّرُ المحرابَ فيكَ عشيّةً

وتدسُّ سُمّاً من عقاربِ صدغها

وتدورُ حولَ دواتِكَ الأحلامُ.

....

هي لا تغارُ عليَّ من

أهداب غانيةٍ

لكنّها حتماً تغارُ

من رقصةِ الأوزانِ

من غُنجِ حرفٍ ومن

قدِّ قافيةٍ

من صورةٍ ما هنا

فضّتْ بكارةَ حُسنها

هذي القوافي

على سريرِ بياني

....

هي لا تغارُ

هي ثورةٌ

شاميةٌ يمنيةٌ مصريةٌ ليبيةٌ

هي لجّةٌ من الأحقادِ

سأواري عنها سَوءتي

أعني قصائدي

قد صرتُ حقاً حائراً أو هارباً

أخشى عليَّ فُجاءةً

من عضّة الأصفادِ

من ميلِ "فاعلتن "

وانهيار "مفاعلن"

وانكفاء مَعادِ

لا... لا تخالوا أنّني

قد عشتُ رعباً دونها

أرعى الثعالبَ

أسامرُ الليلَ

أغازلُ النابَ

أبداً...

إنّي فقطْ

أخشى عليها

لومةَ الأنقاضِ

****

أحلامٌ مزحلقة

إليَّ بقلمٍ أكلته المبراة إلى محزم بنطاله الذهبي.

هنا سؤال أفترضه،

أجيبكم:

سأحاولُ أنْ أكتبَ به أحلاماً جميلةً،

لكنّها ستكون مزحلقةً كلّما تزحلقت مؤخرته بين أصابعي.

لعلّي أضع رسماً بيانياً لمستقبلٍ ينتظره الكثيرون.

في ذهني المترنح الآن هذه الخطة:

- أعصرُ مؤخرةَ القلمِ قليلاً لأقلّل من لعبها المتمرد.

- أداعبُ أطرافها العالقة بين سبابتي ووسطاي وإبهامي بنية التسلية.

- تضطربُ أمعاءُ القلمِ حينها، فيستفرغُ ما أكلته المبراة.

- تتزحلقُ الريشةُ السوداء على ورقةٍ مبللةٍ بالآثام.

- أكره المتابعة وأُصابُ بدوارٍ وينفلتُ القلمُ وتنجو المؤخرة.

- تسقط رأسي على ورقةٍ ملأى بالأحلام المزحلقة.

أيقظوني

أين أنتم؟

لا أحدَ يجيب...

نقطة.

ومازال النصّ

ينتظرني مزكوماً حتى الآن.

****

غزليةٌ تقليديّة

حرثَ القلوبَ بطرفِهِ

أسرَ العقولَ بعزفِهِ

ظبيٌ تمرّدَ طبعُهُ

قد صادني في عطفهِ

برقٌ أضاءَ بعينهِ

والغيثُ جادَ بكفّهِ

نصفي أطاح وراءَهُ

والجسم غارَ بنصفهِ

يا ظبيُ مالَكَ والجفا

ساقَ العشيقَ لحتفِهِ

أشكو إليكَ صبابةً

فيكَ ارتوتْ لا تكتفي

فامسحْ براحكَ إنّني

أحيا بها أو أحتفي

****

أنا لا أنام

تتثاءبُ الأيامُ ملءَ تململي

ومعاركُ الأجفانِ تكبو

جيادُها

وأنا المهلهلُ حولَها

دنٌّ وسيفٌ

والحروفُ نواهلي

....

حقاً أنا قد قلتُها

أنا لا أنامُ

وفي سمائك نجمةٌ

تبكي

تئنّ، وتستقي

في كلّ ليلٍ قربةً

في كلّ جيلٍ حانةً

وتخضّب الأنواءَ لوناً من دمي

في كلّ شهقةِ منهلٍ

في كلّ زفرةِ معولِ

....

في الأمس ألقت

لهفةً محزونةً

وتزمّل القدُّ في محرابها

وغدتْ إلى بقية أضلعي

وتزمّلتْ

وتدفقتْ جسداً

وتنهدتْ أسفاً

وتساقطتْ رُطباً

وتكوّرتْ حول هواجسي

وتدثّرتْ

وتضوّع المسكُ الطّريدُ في أنسامها

وتُلوتُ في أوداجِها

سرَّ العبور

ونغمةَ الإشفاق

وقرأتُ في سِفر الثنايا واللّمى

عومةَ التاريخ قبلاً

كومةَ التأويل بعداً

وعجائبَ الأيام تسعى

وسرائرَ الأحلام تُدعى

....

في الأمسِ

قدّتْ قميصَ تعثري

وطوتْ مسيرَ تبصّري

وسقتْ حميمَ تصبّري

لكنّني

عبثاً طويتُ مواجعي

وأجبتها:

أنا لا أنامُ

وفي عروقيَ رعشةٌ

تُسقى المنونَ

تراقصُ الأوصابا

فتخفّفي

وتلطّفي

ما عادتِ الأحلامُ تغري مرقدي

وتعلّمي ما يُلقى في أسماعنا:

لا ترهقي الإغواءَ في النظرات

لا تُربكي الإقصاءَ في الخطرات

فأنا وحقّكِ واثقٌ

ومقاومٌ وممانعٌ

أنا لا أنام.

****

هل تعلمين؟

قد تعلمين

وأنا كذلك أعلمُ

أنّ التعفّفَ من خصالك شيمةٌ

وحشيمةٌ

أنّ التمنّع من خلالك قيمةٌ

ورفيعةٌ

أنّ التمرّد من فعالك زينةٌ

وفضيلةٌ

....

قد تعلمين

وأنا كذلك أعلمُ

أنّ التحصّنَ في قلاعكِ حائلٌ

متطاولٌ

أنّ العواذل في جواركِ هاطلٌ

متناثرٌ

وكذلك الأعراف حولك غولةٌ

وتكابرٌ

....

لكنكِ لا تعلمين على أقلّ

مداركي

وأنا بذلك أعلمُ

أنّ التسوّرَ مهنتي

وسلالمي مَدّتْ إليكِ ذراعَها

وثعالبي أرختْ عليك فراءَها

وعنائبي عصرتْ إليك دلاءَها

....

فلذا أقولُ

ما يمزّقُ جامحي

ويكون لي حقُّ انتصاب مسائلي:

هل تعلمين؟

وكأنّك مفطورةٌ

وكأنّني متأكدٌ

لا تعلمين

****

ذاكرة تنكيّة

هل تعانون ما أعاني؟

عفواً...

ليس لي أن أرشّ حفنةً من التحاليل على

تقاريرَ هرمة

لكنْ...

باستطاعتي أنْ أشدَّ جزءاً من أصابع تصوركم

إلى سرّة الحدث

حتى تراقصَ جسدَ الواقع ساخرةً

أو تعبثَ بمؤخرته راغبة.

....

هذا يا سادة:

أنّه، في ذاتِ خلوةٍ حمراء

مع إحدى بناتِ الفكرِ العارية

عن كلّ شائبةٍ أو شاحبةٍ

لا أدري إن كانت مومساً، لكنّها عارية

حدث أن تلفنا السماء بجُبتها،

ويتوشحَ القمرُ خماره الأحمرَ

خجلاً من فعائلنا

أو رغبةً بفعائلنا

وتصهلُ القصائدُ بيننا

على عذريةٍ تارةً

أو على زوالها تارةً أخرى.

....

لا بأس....

فما عادَ للأوطان عذريةٌ قَطْ

وما عادتِ الدجاجةُ تبيضُ ذهباً

وانطفأت فيروزُ

وماتْ البلاط.

جُلُّ ما في الأمر:

نزَقٌ يعوي على قمم الإنسانية

وشتاتٌ يموءُ وراء لقمة

وفُتاتٌ يلهو هناك

تلاحقه أصابعُ الحروب.

....

في الأمسِ... كأنَّ

أبي كان غاضباً

شاخت ذاكرتي اللعينة،

وهي لاتزال تتحسَّسُ أسبابَ غضبه

لكنّني أُدركُ تماماً أو قليلاً

أنَّ العالمَ كلَّه كان غاضباً

كنّا نقتاتُ على عفوية الأجدادِ

ونتسكّعُ على حكايا الجدات

ونستسقي الله على طهارة الأمهات

ونوقظ الحال المخمورة بهمَمِ الأصحاب

....

آهٍ... تذكرتُ

تذكّرتُ أنّ بنطالي الذي ورثته عن أخي الأكبر

لم يعدْ يطيق صحبةَ فخذيَّ وأخواتهما

أجلْ....

هو لايزال يضحكُ مُذْ هاجرته الأسنان

وأحياناً يبكي لمضايقة الجيران

ويْ....

ما أطيب المكدوس لو كان حاضراً

لكنَّ رجال الأمن باعوه

في السوق الحمراء السوداء الصفراء....

تباً... مرةً ثانية

نامت ذاكرتي على أنفها المنفوخ.

....

المدرسةُ وأمّي

الجدارُ المنقضُّ وأخي

ولقمةُ الموتِ تطاردني

وزرُّ العورةِ يهربُ مني

وانكشاف هويتي

وانحطاط عشيرتي

ونهدان لعينان

ومستقبلٌ ابنُ كلبة يعضني

وحاضرٌ لعوبٌ يغتصبني

وماضٍ أخو.....

هل أعتذر لكم؟

ربما لا

ليس لأنّ الحالَ واحدةٌ

ولا لأنّ المصير يصفعنا معاً

ولا لأنّ البالَ ممهورٌ بنعلِ عاهرة

ولكنْ

لأن الذاكرة لم تعدْ شابّةً

إنّها حقاً تنكيّة.

****

لم يعدْ سريّاً

اليومَ

سأخالفُ الأعرافَ عنوةً

وأغردُ عكسَ ما تآلفت عليه أسراب العازفين

يمكنني أن أجمع أجزائي المترامية

في محفلي الخاص

ويمكنكَ أن تجدني مثلاً

أغنّي الهوّارةَ عندما تمرّني معازف أمّ كلثوم

أو أشرب كوباً من الشاي فوق لقمة

تحتضن رأساً من البصل

وربما أرتدي القميص الطويلَ،

والعِمّة العباسية

في محفلٍ من العراة

....

لك أن تتخيلني

أحاضرُ المنطقَ في قاعة المجانين

أو أجمعُ القمامة من على منابر الدعاة

أو أركل مؤخرة الراهب الذي شغفنا إيماناً

ويحقّ لك أن تتصورني

أصطادُ أسماكَ الساسةِ من لُجَجِ المجاريرِ

أو أُلاكمُ تفاحتين جذّابتين

وأنا مسجّىً في غرفةِ العمليات

لك أن تسجّل عليَّ ما تشاء

لأنّ الأمر

لم يعدْ سرياً

****

وفاقٌ

في لغةِ التمنّع وشايتان

عتابٌ يتصبّبُ حياءً

وشوقٌ يرتجفُ لهفةً

والظبيةُ تعشقُ صائدَها

حتى وإن قيل:

"فعوائدُ الغزلانِ أنْ تتلفّتَا "

فوشاحُ التمنّعِ يتفنّنُ

مدّاً وجزراً

....

في لغة العيون ونحوِها

فعلٌ مطاوعٌ

يعتصرُ التاريخَ سُكراً

ويُقتلُ التأريخُ

بلسعةِ الآن

وفاعلانِ متجاذبان

يتنازعانِ قميصَي "هيتَ"

يقدّانِهِ عن قُبُلٍ

وعن إصرار

ويودّعُ الجَفاءُ

أذيالَ السراب

ومفعولانِ يغليانِ وَقَداً

ويُدرجُ الظرفُ

في أرشيف الذهول

....

في لغةِ العناقِ ازدواجيةٌ عادلة

وحربٌ تدورُ بإنصافٍ

والكلُّ فيها

قاتلٌ ومقتول

والكلّ فيها

منتصرٌ ومغلوب

ولوحتان متقابلتان

وريشتان متعانقتان

وحلولٌ

يمزج التضاريس

في فلَكٍ رتيب.

****

صرخةُ القُبلِ

ما كنتُ أعلمُ

قبْلاً

أنَّ العرائشَ تشكو

عضةَ القدرِ

أنّ الأقاحيَ تُكسى عباءَتها

من خمرةِ الثغر

أحياناً

أو من

حُمرة القمرِ

....

الآنَ أدركتُ كُنهاً كنتُ أجهلهُ

شيئاً من سرائرها

أو

ناراً من حرائقها

أو

سُكراً من عصائرها

الآنَ تحلو ملءَ نشوتها

تلك الشفاهُ

ونحلٌ يستقي

عبرَ رحلته

كلَّ الرحيق

بل

كلَّ النبيذِ

في حانة السحرِ

....

لم يكن قولي؛

لكنّه قلمي

مرتْ ذاتَ صحوته

قوافلُ الشوق

فاستدركَ الحالَ

ثمّ

ألقى كلَّ حانته

في ساحِ أوراقي

فخطّتْ أنامله:

إنّها

لم تكنْ إلّا

صرخةَ القُبلِ

****

في رأسي

في رأسي

أشياءُ تدحرجها أشياءْ

ومقالعُ من صخرٍ جُدَدٍ

تأكلها أخرى سوداءْ

وسنابلُ من أملٍ تطحنها

أقدامٌ ومعاولُ خرساءْ

وفتاةٌ ترقبُ عاشقها

ودروبٌ تبكي مواجعها

وليالٍ تندهُ طارقها

وقوافلُ من موتٍ خطرتْ

تتهادى بين الأشلاءْ.

....

في رأسي

أورامٌ عادت تعجنُها

أوهامٌ صارت تركلها

أيامٌ ورمالٌ تاهتْ

طوفانٌ... حيتانٌ ناحتْ

أنهارٌ من دمنا سالتْ

والأختُ تنادي معتصماً

والأمُّ تمازح محتدماً

والذئبُ يغني مغتنماً

ومئاتٌ في الأرض تسجّتْ

وثكالى مصارعنا خرساءْ.

****

دهشة

على الطاولة:

سكّينٌ مجنونة

شوكةٌ وقحة

ملعقةٌ غبية

صحونٌ ملأت بطونها وأفرغت قلوبها

منديلٌ يتسكّع على صدرها

وأنا تتسكّع عيناي في رسم هذه التفاصيل من الجغرافيا

لكنّني

نسيت أن أرسمها.

****

رقصةُ قلم

وليلٌ في لواحظِها

يساهي النجمَ أجفانا

....

ومسكُ الجِيدِ أسكرني

وشطُّ النحرِ أغرقني

وكثبانٌ تُخاتلُني

وتيهُ الصدرِ أزمانا

....

وميلُ القدِّ أذهلني

سقى من رِيّهِ البانَا

....

على أنفاسها أحيا

فما أبهى وما أحلى

وفي أعتابها ألوي

ويشدو القلبُ ألحانا

****

لا عينَ تحسدني

الآن لي خطرتْ

إني بُليتُ بنوءٍ

لا يبكي إذا ارتعدا

إني أعيش بكونٍ

من إفراط غفلتهِ

يستعذب العتْمَ والإهمالَ والرمدا

حتى غدوتُ

من أعمالِ شاردةٍ

نجمٌ يغافلني

وبرجُ الجديِ ينطحني

أستحضرُ الجنَّ

في زرقاءِ مقلتها

أشكو لنافثةٍ

إذ أشتهي الحسدا

....

يا قومُ إنّي

"وربِّ البيتِ" أعقدها

ما مسّني بطَرٌ

كلا و لا خبلُ

ولا خبلُ

لكنّني وقَدٌ

من أصلابِ بارقةٍ

أصبو إلى السيفِ

أشدو مع الطيفِ

أغازل الحرفَ

قدّاً وخاصرةً

أمازح الشِعرَ

نثراً وقافيةً

أباغتُ القولَ

ردّاً وأقيسةً

ماضرّني يوماً

في أيّ معترَكٍ

بطشٌ لذي سَعةٍ

أو ضرني وجَلُ

....

هل فيكمُ رجلٌ

تغريهِ ماجدةٌ؟

أو فيكمُ رجلٌ

يستنجدُ الرّشدا؟

إني دعوتُ

علّ الصبحَ يقذفني

في عينِ حاسدةٍ

كم أشتهي الحسدا.

****

لولا وجودُكَ

هذي الحياةُ صحبتُها بتلعثمٍ

لولا وجودُكَ كان موتيَ مغنما

فإذا استويتَ على سريرِ محبتي

حالتْ همومُ الكائناتِ ترنّما

لا تبخلنَّ ببعضِ لطفكَ إنّني

في البعضِ منكَ أعيشُ دهراً مفعما

أتنفس الإصباحَ فيكَ بنظرةٍ

فأطلْ وقوفَ الشمس منك تبسّما

أتلحّفُ الليلَ الذي أسدلتَه

وأنادمُ الأهدابَ من كأسِ اللّمى

هَبني من الأشواقِ ما أبقى به

لولا وجودُك كان موتيَ مغنما

****

قسطون

ناديتُ مذ أغلقت أبوابها السبلُ
والقلبُ في حزنٍ والرُّوحُ والمقلُ

قسطونُ ما هزّني شوقٌ لملعبها
إلا وأطربني من شدوها الطّللُ

والنهر يطوي بنا الأعمار متّكئاً
والسهل مبتهجٌ إذ يرقص الجبلُ

في ساحها ابتسمت أيامُ صبوتنا
في أرضها احتفلت أنسامُ من نزلوا

يا طيبَ منعمها والناسُ في فرحِ
يا حُسنَ معشرها والدمعُ ينهملُ

والتّلُّ يروي لنا تاريخ مولدها
والبرج يحكي لنا أمجاد من رحلوا

....

واليومَ فاقدةٌ تبكي مآذنها
هيهاتَ يُقنعُها ما قالتِ الأُولُ

لا الجرح يبرئهُ شعرٌ ولا نغمٌ
لا الرُّوح يُسكنها نوحٌ ولا مُثُلُ

ومن ومن قالها ربّانُ أمتنا
يا ليت ينفعها ما قاله الرجلُ

نداءٌ

بجمالِ وجهكَ أستزينُ وأرتدي

بجلالِ خطوكَ أستزيدُ وأقتدي

بصباحِ شمسكَ تستفيقُ خواطري

بمساءِ بدركَ أستنير وأهتدي

ببريقِ ثغركَ يا لحُسنِ بشائري

ويجود غيثاً من بقايا الوردِ

....

بنعيمِ صدرِكَ تستريحُ هواجسي

بجحيمِ صدِّكَ أصطلي بتعبّدي

هي هكذا الأمواجُ تعبثُ بيننا

فأدرْ شراعَ الوصلِ نحو تجلّدي

واسلكْ شعابَ الشوق بين حشاشتي

أنا مُذْ عرفتك قد هجرتُ تزهّدي

****

سبعُ ليالٍ ليست حسوماً

الليلةُ السابعة:

سكتت وسكت الكون معها

إلا قلباً يركلني

ونحل رضاب يلسعني

ونملاً رتيباً يلفني

وثعالبَ تحفر في صدري

ثم دنت بدنانها الحمراء

تقبّل مواجعي

تودّع رغائبي

وارتحلت بعيداً.. بعيداً.. بعيدا

حتى ابتلعها الأفق

وصمتٌ يعقد آخر زرٍّ من قميصِ الحيرة

....

الليلةُ السادسة:

على رسلِك على رسلك

فلستَ حَبراً من المختارين

ولا تسكن فيك يوسفية العصمة

ولا أنت مرصودٌ بعقدِ النفاثات

وسبيلي إليك محتومُ

وأنا اللهفة المقذوفة من عينيك

والنار التي تركض فيك

والرغبة التي تسابق ظلك

أنا أربعة من عقود تناثرت حباتها

وتراءتْ على صدغيك بيارقها

وأسدلتْ ساقيها

تلعبان الأرجحة بين لحييك

....

الليلةُ الخامسة:

قد خانتكِ إليَّ الدروب قبل أن تخونك النيات

فليس في صدري مراتع لخرافك الجائعة

ولا في خواطري أغطية

تثيركِ دفئاً

وتهبك تكوّرا

....

الليلةُ الرابعة:

سأقضي لك

وأقضي عليك

ميّتٌ لا محالة في الحاليين

....

الليلةُ الثالثة:

خفرٌ خجولٌ

ووشاحٌ أحمر

يلوّن إطلالتها البيضاء

كأنما تسقيها الأقمار

حانةً من نبيذ

....

الليلةُ الثانية:

ما اسمكِ يا فتاة؟

إن شئتَ فقل: همسةٌ في أذن الحياة

لكنّها همسةٌ ناعية

أو شئتَ فقل: بسمةٌ على وجنة القدر

لكنّها بسمةٌ لاعبة

....

الليلةُ الأولى:

أرسلتْ خيطاً واحداً من أربعين

تجدلها مع ريحٍ عارية

نغمةٌ

لم تكن منقوشةً على أوتارِ المعازف

إشراقةٌ

جمعت كلّ أكاسير الجلال

ابتسامةٌ

ضحكتْ لها جميعُ الأشياءِ

وعينٌ مني يخامرها الذهول

وأخرى على مشارفِ الوداع.

****

لا ريبَ

لا ريبَ في تلك العيون وفعلها
فتكتْ حُشاش القلب بالنظراتِ

لا ريبَ في تلك الرموش وسطوِها
إنّي أنا المقتولُ بالرّشقاتِ

لا ريبَ في حُسن الشفاه وحلوِها
سكرت دنانُ النحل في الخلواتِ

لا ريبَ أنَّ البدرَ يأخذُ حسنه
متسوّلاً يقتات في الوجناتِ

لا ريبَ أنَّ الرّيبَ يركلُ مقلتي

فيردّها الإيمان بالنظراتِ

****

برّرْ غيابكَ

ما عاد قلبي قابلاً

أو

يحتوي العثراتِ

وطّنُ حضوركَ إنْ تكن

ذا لهفةٍ

إنّي إليك مثابر اللهفاتِ

....

برّرْ غيابكَ

حيث أنتَ مِن الهوى

في جُبِّ يوسفَ

هاوياً

وأنا الذي

أرسلتُ دلويَ خلسةً

فتكاثرت آهاتي

....

رجّحْ فؤادكَ

دون عقلٍ أو مدى

ما نفعُ رشديَ

واجفاً

وأنا الذي

أسرفتُ روحيَ غيلةً

فتكسّرت صلواتي

****

أمّي

أنا لم أقل أفٍ لها في خاطري

كلا ولا نطقَ اللسانُ تضجّرا

لكنّ فوضى الآنِ حالت دونما

أنْ أُظهرَ الإحسانَ أو أنْ أجهرا

لعبت ذئابُ الليل دورَ بطولةٍ

مذ كنت في الأدوار دميةَ شنفرى

قد طوّقت

قد أغلقت

قد أغرقت آيُ العواء وأطبقت

سبعاً من المعراج عهداً قد سرى

وتأففتْ روح النقا في مسلكي

فتحسستْ مني الرؤومُ تعثّرا

وتلعثمت فيّ الشفاهُ بريبةٍ

فشتمتُ مجداً آفلاً متبعثرا

وتناهتِ الآهاتُ نحوكِ ربَّتي

أُفّاً كذوباً تائهاً ومعفّرا

حلّت على كلّ القداسةِ لعنتي

وتمردي

وتشردي

وتوسّدي

قدمُ الزبيبةِ في حياتكَ عنترة

أنا لم أقل أفٍ لها لكنّني

أسلمتُ رأسيَ للذئاب تنكُرا

****

كانت هنا

أربعون قضتْ ولا زلتُ أقتلُني بسيفِ الصمتِ

نهاراً

وسوقُ الحياةِ متخومةٌ بفواكه الثرثرات

....

أربعون كُفّنت ولا زلتُ أحييني بنفخةِ القلمِ

ليلاً

وأطلالٌ من ضياءٍ مسلوقةٍ

بكيرِ النفّاثاتِ

في عقودٍ تحكي قصةً

كانت هنا

****

حرفُ جرّ

إلى

إيلافِ غربتها

يئنّ الحرفُ متكئاً

على سطرٍ تؤرّقهُ

دماءُ الشِعرِ والقلمِ

....

إلى

إيناسِ وحشتها

يحنُّ الضلعُ مرتجفاً

على صدرٍ تعذّبهُ

سياطُ القلبِ والألمِ

....

إلى

كلّي بأقصاها

إلى

بعضي بأدناها

ولن أستدركَ الماضي

ولن أستحوذَ الآتي

فحرفُ الجرِّ في لغتي

إليها سَلَّ آهاتي

****

ما في اللّومِ مفسدةٌ

زيدي العتابَ فما في اللّومِ مفسدةٌ

واستكثري أرقي

واستكملي شرَقي

أقداحُ قافيتي

في القربِ مُترعةٌ

والرُّوحُ إنْ خطرت

في الحالِ

إيناسُ

....

يا كلّ معتركي

يا طيبَ كوثرها

إن خانني قلمي

أو شانني نغمي

أو داسني ألمي

أغتالُ أشرعتي

أو أحرقُ السُّفُنا

والنارُ إنْ رقصتْ

في القلبِ

إيناسُ

****

مظاهرة

كلّ الليالي دون همسكِ باردة

همسُ الوثير على الوسائد فجأةً

قد تغيّر طبعهُ

لمّا نأت عن ليلتي

تلك الظلال الشاردة

....

حتى الهلال على القلائد غفلةً

قد تقوّس ظهرهُ

لما تنهّدَ صُبحها

تلك الليالي الباردة

....

لا تقلقي

أنا لن أموتَ مُجمَّداً

لكنّني حتماً أموتُ تفرّقاً

والشمسُ تلبسُ معطفًا هجرها

في أفلةٍ كانت لعمركِ باردة

....

ولتسعدي

إنّي أزفُّ بشارتي

فلتسمعي

لا زلتُ أركلُ أضلعي

لا زال صوتٌ يصهلُ داخلاً

كلّ الليالي دون همسك باردة

****

رسالةٌ في الخاصرة

لازلتُ أعصرُ ثديَ الليل من أرقي
حتى سكبتُ دِنانَ العشقِ في الورقِ

مفجوعةٌ مُهَجي في كلّ آفلةٍ
مجروحةٌ مقلي تبكي على شرَقي

في القول خاصرةٌ تشكو مواجعها
لا كونَ يسمعها في زحمة النّزق

في القولِ خاصرةٌ يحبو لها قلمي
يستنزفُ الألمَ يا حزن مسترقِ

****

السيرة الذاتية

حسن إسماعيل قنطار

سوريا. ريف حماة. قرية قسطون

مواليد **1978**

عضو ملتقى الكتّاب والأدباء السوريين في المهجر

عضو اتحاد الكتّاب السوريين الأحرار

عضو في الملتقى الأدبي السوري في المهجر

****

محتويات الكتاب	
الإهداء	4
إطلالة	5
نرجسية عاشق	8
حدّثوني	13
أقيلوا	16
سكرة قلم	19
كان الذي كان	21
تضرع	23
لازلت هناك	26
اللعنة	29
تبَّ البيان	31
ما سرّ التجافي؟	33
من قال؟	35
جموح	38
نجوى	40

قل لي إذن	42
تغار من قلمي	44
أحلام مزحلقة	47
غزلية تقليدية	49
أنا لا أنام	51
هل تعلمين؟	56
ذاكرة تنكية	59
لم يعد سرياً	65
وفاق	67
صرخة القبل	70
في رأسي	73
دهشة	75
رقصة قلم	76
لا عين تحسدني	78
لولا وجودك	82
قسطون	84

نداء	86
سبع ليالٍ ليست حسوماً	88
لا ريب	93
برر غيابك	95
أمّي	97
كانت هنا	100
حرف جرّ	101
ما في اللوم مفسدة	103
مظاهرة	105
رسالة في الخاصرة	107
السيرة الذاتية	108
محتويات الكتاب	109

تم بحمد الله

وشاية قلم

ديوان شعر بالفصحى
حسن إسماعيل قنطار

الطبعة الأولى
1441 هـ 2020 م

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

جوال: 00201211132879

E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com